

القِطْصُ العَامِلَةُ



جَزِيرَةُ الْكَنْزِ



المقياس بالميل ١ ٢ ٣



الخليج الشمالي

عليج

المتزل العظمي

جدول

أغابة

الصخرة البيضاء

جزيرة الهيكل العظمي

مستقيم

مدن قديمة

رأس الأحراج الثمانية

جزيرة الكنز



وُلِدَ في أدنبرة في إنكلترا. دَرَسَ الهندسة ثُمَّ تَحَوَّلَ عَنْهَا إِلَى دِرَاسَةِ القانونِ ، وَتَخَرَّجَ مُحَامِيًّا فِي الْعَامِ ١٨٧٥ .

كَانَ ضَعِيفَ الرُّثَيْنِ ، يَتَابَعُ الْمَرَضُ بَيْنَ حَيْنٍ وَآخَرَ ، لِذَا كَانَ دَائِمَ التَّجَوُّلِ بَحْثًا عَنْ مَكَانٍ يُلائِمُ صِحَّتَهُ الْوَاحِدَةَ . اسْتَقَرَّ أَخِيرًا فِي الْعَامِ ١٨٨٨ فِي جَزِيرَةِ سَامُوَا فِي الْبَحَارِ الْجَنُوبِيَّةِ ، حَيْثُ اشْتَرَى بَيْتًا وَمَزْرَعَةً وَعَاشَ بَقِيَّةَ عُمُرِهِ مَعَ زَوْجَتِهِ الْأَمِيرِكِيَّةِ الَّتِي تَزَوَّجَهَا فِي الْعَامِ ١٨٨٠ .

أَلْفَ عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ الْكُتُبِ ، ذَاعَتْ شُهْرَتُهَا فِي أَرْبَعَةِ أَصْفَاقِ الْأَرْضِ ، وَلَعَلَّ أَشْهَرَهَا الْقِصَّةُ الَّتِي يَعْشَقُهَا الْأَحْدَاثُ : «جَزِيرَةُ الْكَتَر» .

تَرْوِي قِصَّةُ «جَزِيرَةِ الْكَتَر» حِكَايَةَ فَتَى مُغَامِرٍ ، نَشَأَ عَلَى حُبِّ الشَّجَاعَةِ وَاحْتِرَامِ النَّاسِ . يَجِدُ هَذَا الْفَتَى نَفْسَهُ فِي مُوَاجَهَةِ عِصَابَةِ مِنَ الْقَرَّاصِنَةِ ، فَلَا يَتَرَجَّعُ بَلْ يُؤَدِّي دَوْرَهُ فِي سِلْسِلَةٍ مِنَ الْمَغَامِرَاتِ الْمُثِيرَةِ الَّتِي تَدُورُ فِي الْبَحْرِ وَفَوْقَ جَزِيرَةٍ نَائِيَةٍ تَضُمُّ كَثْرًا مَدْفُونًا . وَقَدْ زُوِّدَ الْكِتَابُ كُلُّهُ بِرُسُومٍ رَائِعَةٍ تُسَاعِدُ فِي إِضْفَاءِ جَوْ مِنْ السَّحْرِ عَلَى الْأَحْدَاثِ الْمُتَلَحِّقَةِ .

سِلْسِلَةُ الْقِصَصِ الْعَالَمِيَّةِ

- | | |
|--|-------------------------------|
| ١ - جَزِيرَةُ الْكَتَر | ٥ - قِصَّةُ مَدِيْنَتَيْنِ |
| ٢ - أُسْرَةُ رُوَيْسُنِ السُّوَيْسِرِيَّةِ | ٦ - الْعَالَمُ الْمَقْقُود |
| ٣ - الْحَدِيقَةُ الْمُرِّيَّةُ | ٧ - الْفُرْسَانُ الثَّلَاثَةُ |
| ٤ - رِحْلَةُ إِلَى بَاطِنِ الْأَرْضِ | |

جَزِيرَةُ الْكَتَر



أَعَدَّ النَّصْرَ الْعَرَبِيَّ : الدَّكْتُورُ الْبَيْرُ مُطْلَق
عَنْ قِصَّةِ : رُوبَرْتِ لُويْسِ سْتِيْفَنْسُنْ
رُسُومَ : دَنِيْسِ مَآنْتَنْ

مَكْتَبَةُ لِبْنَاتْ

جَزِيرَةُ الْكَنْزِ

ما زالتْ ذِكْرِي ذَلِكَ الْبَحَّارِ الْعَجُوزِ الَّذِي أَتَى نَزْلَنَا حَيَّةً فِي
ذَا كِرَّتِي وَكَأَنَّمَا أَحْدَاثُهَا جَرَتْ بِالْأَمْسِ الْقَرِيبِ . كَانَ طَوِيلًا قَوِيًّا ذَا
ضَفِيرَةٍ سَوْدَاءَ تَتَلَّى فَوْقَ ظَهْرِهِ ، وَبِذَيْنِ ضَخْمَتَيْنِ خَشِيتَيْنِ ،
وَكَانَ ذَا عِلَامَةٍ بَارِزَةٍ فِي خَدِّهِ الْأَيْسَرِ أَثَرًا مِنْ جُرْحٍ عَمِيقٍ قَدِيمٍ .
ذَلِكَ الرَّجُلُ ، وَاسْمُهُ بِلِي بُونزُ ، لَمْ يَكُنْ يُكَلِّمُ أَحَدًا مِنَ الْبَحَّارَةِ
الَّذِينَ يَقْصِدُونَ النَّزْلَ ، وَقَدْ اعْتَادَ أَنْ يَدْفَعَ لِي شَهْرِيًّا قِطْعَةً نَقْدِيَّةً
لِلرَّاقِبِ الْقَادِمِينَ وَأَحْذَرُهُ إِنْ حَدَثَ أَنْ رَأَيْتُ بَخَارًا ذَا سَاقٍ وَاحِدَةٍ .

كَانَ أَبِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَلِيلًا ، فَتَوَلَّيْتُ أَمْرَ الْعِنَايَةِ بِشُؤْنِ
بِلِي بُونزِ . وَكَانَ الْبَحَّارُ الْعَجُوزُ قَدْ أَهْمَلَ صِحَّتَهُ إِهْمَالًا شَدِيدًا ،
وَلَمْ يَسْتَمِعْ إِلَى نَصَائِحِ الدُّكْتُورِ لِقُسِي الطَّبِيبَةِ . وَسُرْعَانَ مَا وَجَدَ
نَفْسَهُ مَرْمِيًّا فِي سَرِيرِهِ ، وَاهِنًا ، لَا حَوْلَ لَهُ وَلَا قُوَّةَ .

وَقَدْ حَدَّثَنِي ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، عَنْ حَيَاتِهِ . فَعَرَفْتُ
مِنْهُ أَنَّهُ كَانَ مُعَاوِنًا لِلْقُرْصَانِ الْمَشْهُورِ الْقُبْطَانِ فَلَنْتُ ، وَأَنَّ ذَلِكَ
الْقُرْصَانُ ، حِينَ أَحْسَسَ بِقُرْبِ أَجَلِهِ ، أَعْطَاهُ خَرِيطَةً لِلْمَوْقِعِ
الَّذِي دَفَنَ فِيهِ كَنْزَهُ . وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، أَخَذَ بَحَّارَةُ الْقُبْطَانِ
فَلَنْتُ يُلاحِقُونَ بِلِي بُونزَ لِانْتِزَاعِ الْخَرِيطَةِ مِنْهُ .



في عصر يوم شديد البرودة أتى النزل بحار عجوز أعشى يدعى
بيو الضرير. وقبل أن يترك النزل مَدَّ يده وترك شيئاً في يد بلي بونز.
ورأيت بلي ينظر إلى ما في يده في رغب شديد.

وصاح بانفعال: «اللطفة السوداء! اسمع يا جم هوكنز،
اللطفة السوداء تعني أن بحارة القبطان فلت آتون للنيل مني.
إنهم يريدون خربطني. سيقتلونني يا جم!» كان يشق ويرتجف
في أثناء كلامه، ولا بد أن الصدمة كانت أكثر مما يحتمل،
فقد قفز قفزة متشنج مذعور وسقط على الأرض ميتاً.

مات بلي بونز دون أن يدفع لنا الحساب. بحثت في صندوقه
فوجدت مالاً أخذت منه ما بقي بديننا عليه. كما وجدت رزمة
من الأوراق خشيت عليها من عبث الأيدي، فأخفيتُها في مكان
آمن.

في تلك الليلة هاجمت جماعة من الأشقياء نزلنا، فتسللت
أنا وأمي إلى الخارج، واختبأنا في مكان قريب. ورأينا المهاجمين
ينبشون صندوق بلي بونز، ولما لم يجدوا فيه ما يبحثون عنه،
أصابهم هياج شديد وراحوا يضرخون ويشتمون. فأدركت أنهم
كانوا يسعون وراء رزمة الأوراق التي أخذتها من الصندوق.



سَاجَهْزُ سَفِينَةٍ ! سَاخُذُكَ مَعِيَ يَا دُكْتُورُ ، وَأَنْتَ أَيْضًا يَا جِمْ
هُوِكْتَرُ ، وَآخُذْ بَعْضَ رِجَالِي . سَيَكُونُ الْكَثْرُ لَنَا ! » وَهَكَذَا اشْتَرَى
الْعُمْدَةُ تَرِلُونِي سَفِينَةَ الْإِسْطِيُولَا ، وَجَهَّزَهَا لِلرَّحْلَةِ . كَانَ يَحْتَاجُ
إِلَى بَحَّارَةٍ قَدِيرِينَ ، وَقَدْ اخْتَارَ لِلْسَفِينَةِ طَبَّاحًا ذَا سَاقٍ وَاحِدَةٍ
يُدْعَى جُونِ سِلْفَرُ . وَكَانَ هَذَا الطَّبَّاحُ ذَا مَنَفْعَةٍ كَبِيرَةٍ لِأَنَّهُ تَمَكَّنَ مِنْ
جَمْعِ عَدَدٍ مِنَ الْبَحَّارَةِ الْأَشِدَّاءِ . وَمَا هِيَ إِلَّا أَسَابِيعُ قَلِيلَةٌ حَتَّى
كَانَتِ الْإِسْطِيُولَا جَاهِزَةً لِلِإِبْحَارِ .

أُبْحَرَتِ السَّفِينَةُ تَحْتَ إِمْرَةِ الْقُبْطَانِ سُمُولِتِ . وَعَمَلْتُ أَنَا
بَحَّارًا مُبْتَدِئًا . وَقَدْ أُعْجِبْتُ بِقُدْرَةِ مُوجِّهِ الدَّفْعَةِ ، دَاوُدَ هَانْدَزَ ،
كَمَا أُعْجِبْتُ بِمَهَارَةِ لُونِغِ جُونِ سِلْفَرُ فِي إِعْدَادِ الْمَأْكَلِ الشَّهِيَّةِ .
كَانَ سِلْفَرُ يَرْبُطُ عُكَازَهُ بِحَبْلِ وَيُعَلِّقُهُ حَوْلَ عُنُقِهِ ، وَيَسْتَدُ ظَهْرَهُ إِلَى
عَمُودٍ وَيَشْرَعُ فِي عَمَلِهِ مُسْتَعْدِمًا كُلَّنَا بِدَيْهِ بِحُرِّيَّةٍ ، كَمَنْ يَجْلِسُ
أَمِنًا مُطْمَئِنًّا فَوْقَ الْبَابِسَةِ . كُنَّا جَمِيعُنَا نَعْمَلُ بِنَشَاطٍ وَرِضَى .
وَكَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ الْبَحَّارَةَ يُغَنُّونَ ، فِي أَثْنَاءِ عَمَلِهِمْ ، أُغْنِيَّةَ
تَعَلَّمْتُهَا مِنْ بِلِي بُونَزَ . تَقُولُ الْأُغْنِيَّةُ :

لَا تَفْتَحْ صُنْدُوقَ الْقُرْصَانِ	أَمْسَتْ تَسْكُنُهُ	الْأَرْوَاحُ
يَمَلَأُهُ اللُّوْلُو وَالْمَرْجَانُ	لَكِنْ تَسْكُنُهُ	الْأَرْوَاحُ



ذَهَبْتُ إِلَى الدُّكْتُورِ لِقْسِي وَالْعُمْدَةِ تَرِلُونِي وَأَخْبَرْتُهُمَا بِالْقِصَّةِ
كُلِّهَا . وَحِينَ فَتَحْنَا الرُّزْمَةَ وَجَدْنَا خَرِيطَةَ الْكَثْرِ . صَاحَ السَّيِّدُ
تَرِلُونِي : « كَانَ الْقُبْطَانُ فَلَنْتِ أَشَدَّ الْقَرَاصِنَةِ تَعَطُّشًا لِلدَّمَاءِ .



كُنْتُ أَمْضِي كَثِيرًا مِنْ أَوْقَاتِ فَرَاحِي فِي مَطْبَخِ سِلْفَرٍ ، حَيْثُ
كَانَ يَبْغَاؤُهُ يَتَّارُجَحُ فِي الْقَفْصِ وَلَا يَكْفُ عَنْ الصَّبَاحِ طَوَالَ
النَّهَارِ مُرَدِّدًا : «تَسْكُنُهُ الْأَرْوَاحُ ! تَسْكُنُهُ الْأَرْوَاحُ !» وَكَانَ سِلْفَرُ
حُلُوَ الْمَعْشَرِ ذَا قَيْضٍ مِنَ الْحِكَايَاتِ الْآسِيرَةِ عَنْ أَسْفَارِهِ وَمُغَامَرَاتِهِ ،
وَذَا شَخْصِيَّةٍ قَوِيَّةٍ ، لِذَا أَحَبَّهُ الْبَحَّارَةُ وَاحْتَرَمُوهُ وَنَظَرُوا إِلَيْهِ
نَظَرَتَهُمْ إِلَى قَائِدٍ .



كُنَّا قَدْ مَلَأْنَا بَرْمِيلًا بِالتُّفَاحِ وَوَضَعْنَاهُ فَوْقَ ظَهْرِ السَّفِينَةِ
لِيَكُونَ فِي مُتَنَاوِلِ الْبَحَّارَةِ . ذَهَبْتُ ذَاتَ مَسَاءٍ إِلَى الْبَرْمِيلِ لِأَكُلَ
تُفَاحَةً ، وَلَمَّا وَجَدْتُهُ شَيْئًا خَاوٍ نَزَلْتُ فِيهِ لِأَتَنَاوَلَ مِنْ قَاعِهِ وَاحِدَةً .
كُنْتُ مُتَعَبًا ، فَاسْتَسَلَمْتُ لِتَمَوُّجَاتِ الْبَحْرِ وَجَلَسْتُ هَادِثًا مُسْتَرْخِيًا
وَعَفَوْتُ . فَجَاءَهُ ، أَحْسَسْتُ بِرَجْلِ يَسْتِنِدُ إِلَى الْبَرْمِيلِ ، وَسَمِعْتُهُ
يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ خَافِتٍ . لَمْ أَصَدِّقْ مَا تَنَاهَى إِلَيَّ مِنْ كَلِمَاتٍ
وُظَنَنْتُ أَنِّي أَحْلُمُ ، ثُمَّ لَمَّا تَبَيَّنَ لِي أَنِّي صَاحِرُ أَحْسَسْتُ بِالدَّمِ
يَتَجَمَّدُ فِي عُرْوِي . كَانَ دَاوُدُ هَانْدَزُ وَسِلْفَرُ يُخَطِّطَانِ لِلْإِسْتِيلَاءِ عَلَى
السَّفِينَةِ ، حَالَمَا نَعُثُّ عَلَى الْكَتْرِ ، وَقَتْلُ الْقُبْطَانِ ، وَكُلُّ مَنْ لَا
يَرْضَخُ لَهُمَا ! فَلَمْ أَصَدِّقْ سَمْعِي .

سَمِعَ ، فَجَاءَ ، صَوْتُ مِنْ أَعْلَى السَّارِيَةِ يَصِيحُ : «الْبَرُّ ،
وَصَلْنَا الْبَرَّ !» فَتَرَكَضَ الرُّجَالُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ لِإِلْقَاءِ نَظَرَةٍ .
فَاغْتَمَّتْ الْفُرْصَةُ وَقَفَزَتْ خَارِجًا مِنَ الْبِرْمِيلِ وَانْدَسَسَتْ بَيْنَ
الرُّجَالِ الْمُتَحَمِّسِينَ . كَانَ الْقُبْطَانُ سَمُولِتْ يُحَدِّثُ الْبَحَّارَةَ عَنْ
تِلْكَ الْجَزِيرَةِ . وَسَمِعْتُ لَوْنُجْ جُونِ سِلْفَرٍ يَقُولُ إِنَّهُ كَانَ تَعَرَّفَ
إِلَى هَذَا الْمَكَانِ يَوْمَ رَسَتْ سَفِينَتُهُ فِيهِ لِلتَّرَوُّدِ بِالماءِ . نَظَرْتُ إِلَى
وَجْهِهِ الْبَاسِمِ فَدَبَّتِ الْقَشْعَرِيرَةُ فِي جَسَدِي . فَإِنِّي أَعْلَمُ الْآنَ أَنَّ
سِلْفَرَ لَيْسَ ذَلِكَ الطَّبَّاحَ الْمَرِحَ فَحَسَبُ وَإِنَّمَا هُوَ أَيْضًا قُرْصَانُ
مُتَعَطِّشٌ لِلدَّمَاءِ ! وَحَالَمَا تَمَكَّنْتُ مِنَ التَّسَلُّلِ بَعِيدًا عَنِ الْجَمَاعَةِ
أَسْرَعْتُ أَخْبِرُ الْقُبْطَانَ وَصَدِيقِي الْعُمْدَةَ وَالطَّيِّبَ بِمَا سَمِعْتُ .
فَرَأَوْا أَنَّ لَا خَوْفَ عَلَيْنَا قَبْلَ عَثُورِنَا عَلَى الْكَثَرِ . كَانَ الْقَرَّاصِنَةُ
تِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، أَمَّا نَحْنُ فَكُنَّا سَبْعَةً فَقَطْ . سَنَأْخِذُهُمْ عَلَى
حِينَ غِرَّةٍ حِينَ نَتِمُّ اسْتِعْدَادَاتِنَا ، وَنَأْمَلُ أَنَّ يُسَاعِدَ ذَلِكَ فِي التَّغْلِبِ
عَلَيْهِمْ .

وَصَلْنَا الشَّاطِئَ فَبَدَتْ الْجَزِيرَةُ قَائِمَةً مَهْجُورَةً . كَانَتْ
أَطْرَافُهَا مُغَطَّاةً بِالأَشْجَارِ . وَبَدَتْ فَوْقَ الْأَشْجَارِ صُخُورٌ نَاتِيَةٌ
الرُّؤُوسِ . كَرِهْتُ تِلْكَ الْجَزِيرَةَ رُغْمَ شَمْسِهَا اللَّطِيفَةِ الدَّافِئَةِ
وَطُيُورِهَا الْمُحَلَّقَةِ . رَسَوْنَا فِي خَلِيجٍ صَغِيرٍ تَدُلُّ قُوَّةَ أَغْصَانِ

الأَشْجَارِ . كَانَ الْهَوَاءُ سَاخِنًا سَاكِئًا ، وَكَانَ الْبَحَّارَةُ مُتَوَفِّزِي
الْأَعْصَابِ يَتَذَمَّرُونَ مُهْمِّمِينَ . فَأَذِنَ لَهُمُ الْقُبْطَانُ سَمُولِتْ بِالنُّزُولِ
إِلَى الشَّاطِئِ ، فَرَفَعَ ذَلِكَ مِنْ مَعْنَوِيَّاتِهِمْ . لَقَدْ كَانَ أَوْلَيْكَ الْحَقُّقَى
يَحْسِبُونَ أَنَّ أَقْدَامَهُمْ سَتَتَعَرَّرُ بِالْكَثَرِ لَحْظَةً نُزُولِهِمْ إِلَى الْبَرِّ . وَعَيْنِ
لَوْنُجْ جُونِ سِلْفَرٍ مَسْئُولًا عَنِ الْقَارِبِينَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا إِلَى الشَّاطِئِ
وَفِيهِمَا ثَلَاثَةُ عَشَرَ رَجُلًا . كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَنْ يَحْتَاجُوا إِلَيَّ فَوْقَ
السَّفِينَةِ فَقَرَّرْتُ أَنْ أَتَوَجَّهَ ، أَنَا أَيْضًا ، إِلَى الشَّاطِئِ .



حينَ تَوَقَّفتُ أخيراً وَجَدْتُ نَفْسي عِنْدَ أَسْفَلِ تِلَّةٍ صَخْرِيَّةٍ .
وَلَمَحْتُ شَبَحًا يَتَحَرَّكُ فَوْقَ مُنْحَدَرٍ ، فَلَمْ أُمَيِّزْ إِنْ كَانَ مَا رَأَيْتُ
إِنْسَانًا أَمْ حَيَوَانًا . وَكَانَ ذَلِكَ خَطَرًا آخَرَ أَحْسَسْتُ أَنِّي لَنْ أَقْوَى عَلَى
مُواجهَتِهِ ، فَسَرَعْتُ أَرْكُضُ نَحْوَ الشَّاطِئِ . لَكِنَّ المَخْلُوقَ كَانَ
أَسْرَعَ مِنِّي . فَقَدْ كَانَ يَنْطَلِقُ كَالسَّهْمِ حَتَّى ضَاقَتِ المَسَافَةُ بَيْنَنَا ،
وَاسْتَطَعْتُ أَنْ أَتَبَيَّنَهُ فَإِذَا هُوَ إِنْسَانٌ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ إِنْسَانًا غَرِيبًا
الشَّكْلَ شَبِيهًا فِي حَرَكَاتِهِ بِحَيَوَانَاتِ البَرِّيَّةِ ، فزَادَ ذَلِكَ فِي فَرَعِي .
لَكِنْ مَا إِنْ وَصَلَ الرَّجُلُ إِلَيَّ حَتَّى رَأَيْتُهُ يَرْتَمِي أَرْضًا أَمَامِي وَيَرْفَعُ
ذِرَاعِيهِ مُتَوَسِّلًا .



دَخَلْتُ الغَابَةَ مُغْتَبِطًا بِوَحْدَتِي وَحُرِّيَّتِي . وَسَمِعْتُ فَجَاءَةً أَصْوَاتًا ،
فَاخْتَبَأْتُ بَيْنَ الشُّجَيْرَاتِ وَأَخَذْتُ أُرَاقِبُ وَأُنصِتُ . رَأَيْتُ سِلْفَرًا
وَهُوَ يَنْهَرُ أَحَدَ البَحَّارَةِ آمِرًا إِيَّاهُ أَنْ يَنْضَمَّ إِلَى القَرَّاصِينَةِ . فَبَدَأَ
الغَضَبُ الشَّدِيدُ عَلَى البَحَّارِ ، وَأَدَارَ وَجْهَهُ وَمَشَى . فَمَا كَانَ مِنْ
سِلْفَرٍ إِلَّا أَنْ اسْتَلَّ خَنْجَرَهُ وَطَعَنَ البَحَّارَ فِي ظَهْرِهِ فَقَتَلَهُ ، وَتَرَكَهُ
مَرْمِيًّا فِي الغَابَةِ وَمَشَى . كِدْتُ أَفْقِدُ وَعْغِي ، وَأَحْسَسْتُ أَنَّ الدُّنْيَا
تَدُورُ بِي ، وَلَمْ أَعُدْ أُمَيِّزُ مَا حَوْلِي . وَحِينَ تَمَالَكْتُ نَفْسي نَظَرْتُ
فَرَأَيْتُ سِلْفَرًا يَمْسَحُ خَنْجَرَهُ بِالعُشْبِ ، وَقَدْ وَضَعَ عُكَازَهُ تَحْتَ إِبْطِهِ .
وَعَرَفْتُ أَنَّ فِي انْكِشَافِ أَمْرِي خَطَرًا عَلَى حَيَاتِي ، فَأَخَذْتُ أَرْكُضُ
عَلَى غَيْرِ هُدًى .

عَادَتْ إِلَى شَجَاعِي ، وَسَأَلْتُ الرَّجُلَ : « مَنْ أَنْتَ ؟ » فَأَجَابَ :
« أَنَا بْنُ جَنْ . مُنْذُ ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ لَمْ أَتَحَدَّثْ إِلَى بَشَرٍ . »

لَمْ أَكُنْ قَدْ شَاهَدْتُ مِنْ قَبْلُ ثِيَابًا مُمزَّقةً مُقَطَّعةً كَثِيبًا
ذَلِكَ الرَّجُلِ . كَانَ يَلْبَسُ رُقْعًا مِنْ أَقْمِيشَةٍ غَرِيبَةٍ وَجِلْدٍ مَاعِزٍ .
وَبَدَتْ عَيْنَاهُ الزَّرْقَاوَانِ خَائِفَتَيْنِ فِي وَجْهِهِ أَحْرَقَتْهُ الشَّمْسُ .

أَخْبَرَنِي أَنَّهُ غَنِيٌّ ، ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَهْذِي بِصَوْتٍ عَالٍ حَادٍ . كَانَ
يَنْطِقُ أَحْيَانًا بِكَلِمَاتٍ مَفْهُومَةٍ ، وَأَحْيَانًا يُرْثِرُ ثُرْثُرَةً لَا مَعْنَى لَهَا .
فَشَعَرْتُ أَنَّ الرَّجُلَ أُصِيبَ بِشَيْءٍ مِنَ الْجُنُونِ بَعْدَ عَيْشِهِ وَحِيدًا

طَوَالَ تِلْكَ الْفَتْرَةِ . قَالَ لِي إِنَّهُ كَانَ وَاحِدًا مِنْ رِجَالِ الْقُبْطَانِ
فَلِئْتُ ، وَإِنَّهُ عَادَ مُنْذُ ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ مَعَ بَحَّارَةٍ آخَرِينَ لِلْبَحْثِ
عَنْ كَثْرِهِ . وَلَمَّا لَمْ يَجِدُوا الْكَثْرَ عَادَ الْبَحَّارَةُ مِنْ حَيْثُ أَتَوْا تَارِكِينَ
إِيَّاهُ فِي الْجَزِيرَةِ . وَظَنَّ ، حِينَ رَأَى سَفِينَتَنَا ، أَنَّ الْقُبْطَانَ فَلِئْتُ
عَادَ لِيَأْخُذَ كَثْرَهُ .

أَخْبَرْتُهُ أَنَّ الْقُبْطَانَ فَلِئْتُ مَاتَ ، لَكِنَّ عَدَدًا مِنْ رِجَالِهِ
جَاؤُوا عَلَى سَفِينَتِنَا . وَحِينَ ذَكَرْتُ اسْمَ سِلْفَرٍ امْتَلَأَ وَجْهُ الرَّجُلِ
دُغْرًا . قُلْتُ لَهُ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نُحَارِبَ الْقَرَّاصِينَ ، فَوَعَدَ أَنْ يُسَاعِدَنَا
إِذَا قَبِلْنَا أَنْ نَضْطَحِجَهُ مَعَنَا إِلَى بَلَدِهِ .





تَرَكْتُ بِنَ حَنَ وَتَسَلَّقْتُ السِّيَاحَ وَجَرَيْتُ نَحْوَ رِفَاقِي فِي
الْمَنْزِلِ الْخَشِيِّ . فَاسْتَبَشَرُوا بِوُصُولِي بَعْدَ أَنْ كَانَ غِيَابِي قَدْ
أَقْلَقَهُمْ قَلَقًا شَدِيدًا . وَحَدَّثَنِي الدُّكْتُورُ لِقَاسِي بِمَا جَرَى بَعْدَ تَرْكِي
السَّفِينَةَ . فَقَدْ كَانَ الْقُبْطَانُ رَأَى أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ حَانَ لِفَتْحِ الْمَعْرَكَةِ
مَعَ الْقَرَاصِصَةِ . وَقَدْ عَلِمَ بِأَمْرِ الْمَنْزِلِ الْخَشِيِّ مِنْ خَرِيطَةِ الْكَتْرِ
الَّتِي تَرَكَهَا فَلَيْتُ . فَرَكِبَ الدُّكْتُورُ لِقَاسِي وَأَحَدُ رِجَالِنَا زَوْرَقًا
وَاتَّجَهَا إِلَى الشَّاطِئِ لِتَفْحُصِ الْمَنْزِلَ . وَقَدْ وَجَدَا قُرْبَهُ يُنَوِّعُ مَاءً ،
كَمَا لَاحَظَا أَنَّ سِيَاحَهُ الْعَالِي يَجْعَلُ مِنْهُ مَكَانًا حَصِينًا . وَعَادَ
الرَّجُلَانِ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْإِسْطِيُولَا لِجَمْعِ مَنْ يُوثِقُ بِهِمْ مِنَ الْبَحَّارَةِ .
ثُمَّ حُمِّلَ زَوْرَقُ بِالْمُونِ وَالذَّخِيرَةِ ، وَانْطَلَقَ الْجَمِيعُ إِلَى الشَّاطِئِ
بِأَقْصَى سُرْعَةٍ .



انْقَطَعَ حَدِيثًا حِينَ سَمِعْنَا إِطْلَاقَ نَارٍ . وَرَكَضْنَا كِلَامَا
إِلَى مَصْدَرِ الصَّوْتِ . وَصَلْنَا إِلَى فُرْجَةٍ فِي الْغَايَةِ عَارِيَةٍ مِنَ الْأَشْجَارِ
يَقُومُ فِي وَسْطِهَا مَنْزِلٌ خَشِيُّ مُحَصَّنٌ بِسِيَاحٍ عَالٍ . وَرَأَيْتُ عَلَمًا
يُرْفَرِفُ فَوْقَ الْمَنْزِلِ فَتَوَقَّعْتُ أَنْ يَكُونَ رِفَاقِي قَدْ تَرَكَوا السَّفِينَةَ
وَلَجَأُوا إِلَى الْمَنْزِلِ الْخَشِيِّ الْمُحَصَّنِ لِدَفَاعِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ .
لَا بُدَّ أَنَّ الْمَعْرَكَةَ مَعَ الْقَرَاصِصَةِ قَدْ بَدَأَتْ ! كَانَتْ سَفِينَةُ الْإِسْطِيُولَا
رَاسِيَةً فِي الْخَلِيجِ وَقَدْ ارْتَفَعَتْ فَوْقَ سَارِيَتِهَا رَايَةُ الْقَرَاصِصَةِ .
وَالْتَفَتْتُ جِهَةَ الشَّاطِئِ فَرَأَيْتُ قَرِيبًا مِنْهُمْ يَتَحَرَّكُ فَوْقَ الرَّمَالِ .

عَنَانِهِمْ بِصِحَّتِهِمْ وَبِسَبَبِ الْمَوْقِعِ الْمُسْتَقْبَعِيِّ غَيْرِ الصَّحِيِّ
الَّذِي اخْتَارُوهُ مُعَسَّكِرًا لَهُمْ .

حَدَّثْتُ رِفَاقِي بِمَا جَرَى مَعِي ، وَبِمُقَابَلَتِي لِبَنِّ جَنْ . فَاسْتَفْسَرَ
الدُّكْتُورُ لِقَاسِي عَنْ كُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالرَّجُلِ ، لِأَنَّا كُنَّا بِحَاجَةِ مَاسَّةٍ
إِلَى مَنْ يُسَاعِدُنَا . وَكَانَ زُعَمَاؤُنَا الثَّلَاثَةُ حَائِرِينَ فِي أَمْرِهِمْ .
لَا يَعْرِفُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ . لَمْ يَكُنْ لَدَيْنَا مِنَ الطَّعَامِ إِلَّا الْقَلِيلُ ،
وَسَيِّكُونَ فِي إِمْكَانِ الْقَرَاصِنَةِ فِي وَقْتٍ قَرِيبٍ تَجْوِيعًا وَإِجْبَارًا
عَلَى الْخُرُوجِ وَالْإِسْتِئْذَانِ . وَكُنْتُ مِنْهَاكَ بَعْدَ نَهَارٍ شَاقٍّ طَوِيلٍ
فَاسْتَسَلَمْتُ لِلنَّوْمِ .

اسْتَيْقَظْتُ فِي الصَّبَاحِ عَلَى صَخَبٍ مُفَاجِئٍ وَأَصْوَاتٍ .
كَانَ لَوْنُغُ جُونِ سِلْقَرِ نَفْسُهُ يَقْتَرِبُ مِنَ السِّيَاحِ حَامِلًا عَلَمًا أَيْضًا .
وَحَشِيَ الْقُبْطَانُ سَمُولَتِ أَنْ يَكُونَ فِي الْأَمْرِ خِدْعَةٌ فَأَمَرَ أَنْ نَسْتَعِدَّ
حَمِينًا لِإِطْلَاقِ النَّارِ . قَالَ سِلْقَرُ إِنَّهُ جَاءَ لِنَتَّفِقَ عَلَى شُرُوطِ إِنْهَاءِ
الْقِتَالِ . فَسُمِعَ لَهُ بِاجْتِيَازِ السِّيَاحِ . رَمَى عُكَّازَهُ مِنْ فَوْقِ السِّيَاحِ
وَتَسَلَّقَهُ بِمَهَارَةٍ وَرَمَى نَفْسَهُ فِي فَسْحَةِ الْمَنْزِلِ . ثُمَّ مَشَى نَحْوَ
الْبَابِ وَجَلَسَ أَمَامَهُ ، وَأَخْبَرَ الْقُبْطَانُ أَنَّ الْقَرَاصِنَةَ عَازِمُونَ عَلَى
الْحُصُولِ عَلَى الْكَثْرِ . وَأَنَّهُ مُسْتَعِدٌّ إِذَا سَلَّمْنَاهُ الْخَرِيطَةَ أَنَّ يُخْرِجَنَا
مِنَ الْجَزِيرَةِ إِلَى مَكَانٍ آمِنٍ .



كَانَ لَا يَزَالُ فَوْقَ السَّفِينَةِ نَفَرٌ قَلِيلٌ مِنَ الْقَرَاصِنَةِ . وَحِينَ
لَا حَظُوا مَا يَجْرِي أَطْلَقُوا النَّارَ عَلَى الزُّورَقِ الصَّغِيرِ ، فَغَاصَ فِي
مِيَاهِ ضَحْلَةٍ . فَغَاصَ الْعُمْدَةُ وَجَمَاعَتُهُ فِي الْمِيَاهِ حَتَّى وَصَلُوا
الشَّاطِئَ . لَكِنَّهُمْ كَانُوا قَدْ فَقَدُوا نِصْفَ شِحْتِهِمْ مِنَ الْمُونِ
وَالنَّارِ . وَكَانَ الطَّيِّبُ وَاثِقًا أَنَّ الْقَرَاصِنَةَ لَنْ يَطُولَ بِهِمُ الْأَمْرُ
حَتَّى يَتَخَلَّوْا عَنِ الْقِتَالِ . ذَلِكَ أَنَّ الْأَمْرَاضَ سَتَدِبُ فِيهِمْ لِقِلَّةِ

لَمْ يَكُنِ الْقُبْطَانُ سَمُولِيتَ مِمَّنْ يُسَاوِمُونَ الْقَرَاصِنَةَ . فَوَقَفَ
أَمَامَ سِلْفَرٍ يَتَفَضُّ غَضَبًا وَأَفْهَمَهُ أَنَّهُ وَقَرَاصِنَتُهُ خَامِرُونَ . فَمِنْ
غَيْرِ الْخَرِيطَةِ لَا أَمَلَ لَهُمْ فِي الْعُثُورِ عَلَى الْكَثَرِ ، وَأَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ
لَا يَسْتَطِيعُ ، حَتَّى وَلَوْ عَثَرُوا عَلَى الْكَثَرِ ، أَنْ يُعَيِّنَ خَطَّ إِبْحَارِ
السَّفِينَةِ فِي عَوْدَتِهَا إِلَى الْوَطَنِ . ثُمَّ أَمَرَ الْقُرْصَانُ بِالْخُرُوجِ .
فَاحْمَرَّتْ عَيْنَا سِلْفَرٍ غَضَبًا ، وَانْدَفَعَ نَحْوَ الْغَايَةِ مُهْدِدًا مُتَوَعِّدًا .

أَخَذْنَا نَعِدُ أَنْفُسَنَا لِمُوَاجَهَةِ الْمُهْجُومِ الْمُرْتَقِبِ . ثُمَّ جَلَسْنَا
نَنْتَظِرُ فِي جَوْ حَارٍّ مُلْتَهَبٍ . فَجَاءَ ، أَخَذَتْ طَلَقَاتُ الْبِنَادِقِ تَنْصَبُ
عَلَى الْبَيْتِ الْخَشِيِّ ، وَرَأَيْنَا الْقَرَاصِنَةَ يَنْدَفِعُونَ مِنَ الْغَايَةِ وَيَسْلَقُونَ

السِّيَاحَ . وَمَلَأَ الْجَوَّ خَلِيطٌ مِنْ صَيِّحَاتِ الرِّجَالِ ، وَأَنْبِيَاءِ الْمُصَابِينِ ،
وَصَوْتِ الْبَارُودِ ، وَبَرِيقِ الرِّصَاصِ . أَمْسَكْتُ سَيْفًا وَانْدَفَعْتُ
خَارِجًا لِأُشَارِكَ فِي الْقِتَالِ . وَمَا هِيَ إِلَّا لَحَظَاتٌ حَتَّى كُنَّا قَدْ
رَدَدْنَا الْمُهَاجِمِينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ ، وَالَّذِينَ مِنْهُمْ لَمْ يَقْتُلُوا أَوْ يُصَابُوا
بِجُرُوحٍ تَرَاكَضُوا إِلَى الْغَايَةِ هَارِبِينَ . وَأَسْرَعْنَا نَحْنُ إِلَى دَاخِلِ
الْمَنْزِلِ الْخَشِيِّ لِدِرَاسَةِ الْوَضْعِ . كُنَّا وَاثِقِينَ مِنْ أَنَّ سَتَتَعَرَّضُ
لِهُجُومٍ ثَانٍ . وَكُنَّا قَدْ فَقَدْنَا رَجُلَيْنِ ، وَأَصِيبَ الْقُبْطَانِ بِجُرْحٍ
بَلِيعٍ . إِنَّا خَدْنَا مَوَاقِعَنَا نَنْتَظِرُ وَنُرَاقِبُ ، لَكِنْ بَقِيَ كُلُّ شَيْءٍ هَادِتًا .





رَأَيْتُ الدُّكْتُورَ لِفْسِي بَتَسَلُّ فِي السَّكِينَةِ خَارِجَ السِّيَاحِ .
فَقَدَّرْتُ أَنَّهُ خَارِجٌ لِلْعُثُورِ عَلَى بِنِ جَنْ . كَانَ الْهُدُوءُ لَا يَزَالُ
مُسَيِّطِرًا ، وَبَدَأْتُ أَتَعَبُ مِنَ الْإِنْتِظَارِ . فَقَدْ جَعَلَنِي الْحَرَارَةُ
الشَّدِيدَةُ ، وَرَائِحَةُ الدَّمِ ، وَالْغُبَارُ ، أَشْعُرُ بِالْقَلَقِ وَالِاضْطِرَابِ ،
وَتَشَوَّقْتُ إِلَى مَكَانٍ مُنْعِشٍ نَظِيفٍ . كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ الْقُبْطَانَ لَنْ
يَسْمَحَ لِي بِتَرْكِ الْمَنْزِلِ . فَتَسَلَّخْتُ بِمُسَدَّسَيْنِ ، وَاعْتَمَمْتُ الْفُرْصَةَ
الْمُنَاسِبَةَ وَتَسَلَّلْتُ خَارِجَ الْمَنْزِلِ دُونَ أَنْ يَرَانِي أَحَدٌ .

رَكَضْتُ نَحْوَ الشَّاطِئِ فِدَاعِبَنِي نَسِيمُ الْبَحْرِ الْعَلِيلُ ، وَوَقَفْتُ
لَحَظَاتٍ أَرَايْتُ تَكَسَّرَ الْأَمْوَاجُ عَلَى الشَّاطِئِ وَتَلَأَلُو زَبَدِ الْبَحْرِ .
ثُمَّ تَسَلَّقْتُ تَهَّةً ، فَأَمَكَّنِي أَنْ أَرَى سَفِينَةً رَاسِيَةً فِي الْخَلِيجِ الْهَادِي .
وَالِى جَانِبِ السَّفِينَةِ رَأَيْتُ قَارِبًا صَغِيرًا تَبَيَّنَتْ فِيهِ لَوْنُ جَوْنِ سِلْقَرٍ .
كَانَ يُكَلِّمُ رَجُلَيْنِ فِي السَّفِينَةِ وَيَضْحَكُ مَعَهُمَا . وَلَمْ يَصِلْنِي شَيْءٌ
مِنْ حَدِيثِهِمْ ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَسْمَعُ صِيَاخَ بَيْغَاءِ الْقُرْصَانِ . وَعِنْدَ
الْغُرُوبِ تَوَجَّهْتُ سِلْقَرٍ بِقَارِبِهِ إِلَى الشَّاطِئِ ، وَنَزَلَ الرَّجُلَانِ اللَّذَانِ
بَقِيَا فِي السَّفِينَةِ إِلَى أَسْفَلٍ . كُنْتُ وَاثِقًا أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَجِدِ الْقَرَّاصِينَ
الْكَثْرَ فَسَوْفَ يُبْجِرُونَ مِنْ دُونِنَا . فَبَدَأْتُ تُرَاوِدُنِي خُطَّةٌ لِلْخَلَاصِ .
كَانَ بِنِ جَنْ قَدْ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ صَنَعَ ، مُنْذُ زَمَنٍ ، قَارِبًا وَخْبَاءً

قَرِيبًا مِنَ الشَّاطِئِ . فَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ الْوُصُولَ إِلَى الْإِسْطِيُولَا
لَأَمَكَّنِي قَطْعُ حِبَالِ الْمِرْسَاةِ . وَتَتَجَرَّفُ السَّفِينَةُ عِنْدَهَا إِلَى
مَكَانٍ آخَرَ مِنَ الشَّاطِئِ ، وَلَنْ يَتِمَكَّنَ الْقَرَّاصِينَ مِنْ مُغَادَرَةِ الْجَزِيرَةِ .
أَخَذْتُ أَفْتَشُ بَيْنَ الشُّجَيْرَاتِ السَّاحِلِيَّةِ ، وَمَا كَانَ أَشَدَّ فَرَحِي
حِينَ وَجَدْتُ الْقَارِبَ ! كَانَ الْقَارِبُ مَصْنُوعًا مِنْ هَيْكَلٍ خَشَبِيٍّ
مُغَطًى بِجُلُودِ الْمَاعِزِ ، لَكِنَّهُ كَانَ صَغِيرًا مُخْلَخَلًا فَخَشِيتُ إِلَّا
يَقْوَى عَلَى حَمَلِي . وَمَعَ حُلُولِ الظَّلَامِ زَحَفَ الضَّبَابُ عَلَى الْخَلِيجِ .
فَدَفَعْتُ الْقَارِبَ الصَّغِيرَ فِي الْمَاءِ وَتَوَجَّهْتُ بِهِدُوءٍ نَحْوَ الْإِسْطِيُولَا .

حِينَ اقْتَرَبْتُ مِنَ السَّفِينَةِ تَنَاهَى إِلَى أُذُنِي صَخَبٌ وَأَصْوَاتٌ .
 ارْتَهَفْتُ السَّمْعَ فَتَبَيَّنَ لِي أَنَّ دَاوُدَ هَانْدَزَ وَقُرْصَانًا آخَرَ يَتَبَادَلَانِ
 الصُّرَاخَ وَالسَّبَابَ . انْتَفَتُ جِهَةَ الشَّاطِئِ فَرَأَيْتُ ضَوْءًا صَادِرًا
 عَنْ مُخَيِّمِ الْقَرَّاصَةِ . وَتَنَهَيْتُ إِلَى مَسْمَعِي أَصْوَاتُ أُعْيِيَةٍ طَالَمَا
 سَمِعْتُهَا مِنْهُمْ :

لَا تَفْتَحْ صُنْدُوقَ الْقُرْصَانِ
 أَمْسَتْ تَسْكُنُهُ الْأَرْوَاحُ
 بِمَلَأَةِ اللُّؤْلُؤِ وَالْمَرْجَانِ
 لَكِنْ تَسْكُنُهُ الْأَرْوَاحُ



أَمْسَكْتُ سِكِّينِي وَرُحْتُ أَحْزُ حَبْلَ الْمِرْسَاةِ خَيْطًا خَيْطًا .
 وَلَمَّا تَمَّ لِي مَا أَرَدْتُ أَخَذْتُ السَّفِينَةَ تَتَارَجَعُ وَتَتَرَلَقُ إِلَى عُرْضِ
 الْبَحْرِ . وَفِي أَثْنَاءِ ارْتِفَاعِ السَّفِينَةِ وَهَبُوطِهَا أُتِيحَ لِي أَنَّ أَتَبَيَّنَ مَا
 فِي قَمَرَتِهَا . رَأَيْتُ دَاوُدَ هَانْدَزَ وَالْقُرْصَانَ الْآخَرَ يَتَعَارَكَانِ .
 وَكَانَا مِنَ الْإِنْفِعَالِ وَالْهَيْبَاحِ بِحَيْثُ لَمْ يُبْلَاحِظْ تَحْرُكُ السَّفِينَةِ .
 أَدْرَكْتُ أَنِّي فِي خَطَرٍ عَظِيمٍ . فَارْتَمَيْتُ فِي قَاعِ زَوْرَقِي أَصْلِي
 أَلَّا يَكْشِفَ أَمْرِي .





تَقَادَفْتَنِي الْأَمْوَاجُ سَاعَاتٍ . وَلَا بُدَّ أَنَّ النَّعَاسَ غَلَبَنِي ، فِيمَتْ .
وَحِينَ اسْتَيْقَظْتُ كَانَ ضَوْءُ النَّهَارِ قَدْ مَلَأَ الْمَضَاءَ . كَانَ قَارِبِي
قَدْ انْجَرَفَ إِلَى مَكَانٍ مِنَ الشَّاطِئِ صَخْرِي شَدِيدِ الانْحِدَارِ فَحَالَ
ذَلِكَ دُونَ نُزُولِي هُنَاكَ . لَمْ أَكُنْ أَمْلِكُ إِلَّا أَنْ أَتْرَكَ قَارِبِي بِتَأَرْجَحٍ
كَمَا اتَّفَقَ أَمَلًا فِي أَنْ أَصِلَ إِلَى بُقْعَةٍ رَمِيَّةٍ مِنَ الشَّاطِئِ . وَقَدْ أَصَابَنِي
عَطَشٌ شَدِيدٌ زَادَ فِيهِ حَرَارَةُ الشَّمْسِ وَرَذَاذُ مَاءِ الْبَحْرِ الْمَالِحِ .
تَمَنَيْتُ أَنْ أَنْزِلَ الشَّاطِئَ وَأَجْلِسَ فِي مَكَانٍ ظَلِيلٍ مُنْعِشٍ . بَدَرَتْ
مَنِي الْيَفَاقَةَ إِلَى الْوَرَاءِ فَرَأَيْتُ مَشْهَدًا أَنْسَانِي هُمُومِي . رَأَيْتُ الْإِسْطِيُولَا
عَلَى مَسَافَةٍ مَنِي لَا تَزِيدُ عَلَى نِصْفِ الْمِيلِ ! كَانَتْ أَشْرَعُهَا مَنشُورَةً ،
لَكِنَّهَا كَانَتْ تَتَأَرْجَحُ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ ، وَكَأَنَّهَا سَفِينَةٌ مَهْجُورَةٌ .
فَرَاوَدَنِي أَمَلٌ فِي أَنْ أَصْعَدَ إِلَيْهَا وَأَسْتَوِلِيَ عَلَيْهَا .

رُحْتُ أُجَدِّفُ بِاتِّجَاهِ السَّفِينَةِ بِحِمَاسَةٍ . لَكِنْ ، كُلَّمَا كُنْتُ
أَقْتَرِبُ مِنْهَا كَانَ الْهَوَاءُ يَدْفَعُ أَشْرَعُهَا الْمَنشُورَةَ فَيُبْعِدُهَا عَنِّي .
أَخِيرًا ، وَاتَّنَيْتُ الْفُرْصَةَ . فَقَدْ هَدَأَ الْهَوَاءُ وَهَدَأَتْ مَعَهُ حَرَكََةُ
السَّفِينَةِ . فَاقْتَرَبْتُ مِنْهَا وَقَفَزْتُ إِلَيْهَا . ثُمَّ هَبَّتِ الرِّيحُ ثَانِيَةً
فَانْدَفَعَتِ السَّفِينَةُ مَعَ الْمَوْجِ انْدِفَاعًا مُفَاحِحًا وَصَدَمَتْ قَارِبِي
وَأَغْرَقَتْهُ فَلَمْ يَعْذُ عِنْدِي مِنْ وَسِيلَةٍ لِلْهَرَبِ . مَشَيْتُ فَوْقَ السَّفِينَةِ
يَحْذَرُ شَدِيدٍ ، دُونَ أَنْ أَرَى أَحَدًا أَوْ أَسْمَعَ شَيْئًا .

وَعَدْتُ أَنْ أَقْدَمَ لِلْقُرْصَانِ طَعَامًا وَأَنْ أَضْمِدَ جِرَاحَهُ إِنْ هُوَ
 قَبْلَ أَنْ يُعَلِّمَنِي كَيْفَ أَقْوُدُ السَّفِينَةَ إِلَى مَكَانٍ آمِنٍ مِنَ الشَّاطِئِ .
 كِلَانَا كَانَ ، فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، مُحْتَاجًا إِلَى الْآخِرِ . هُوَ يَحْتَاجُ إِلَى
 عِيَائِي ، وَأَنَا أَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَخَبْرَتِهِ . غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَتَوْأَبِدًا
 بِإِتِسَامَتِهِ الْغَرِيْبَةِ الْمَاكِرَةِ الَّتِي يُقَابِلُنِي بِهَا . طَلَبَ مِنِّي أَنْ أَجْلُبَ لَهُ
 شَيْئًا مِنَ الْقَمَرَةِ ، وَعِنْدَمَا ظَنُّ أَنِّي تَرَكْتُهُ وَنَزَلْتُ ، زَحَفَ وَالتَّقَطَ
 سَكِينًا وَخَبَّأَهَا فِي سِتْرَتِهِ . كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا كَافِيًا عَلَى مَا يُبَيِّنُهُ لِي .
 إِنَّ هَانْدَزَ الْآنَ مُسَلَّحٌ . وَلَا شَكَّ أَنَّهُ سَيَقْتُلُنِي حَالَمَا أَصِلُ بِالسَّفِينَةِ
 إِلَى الشَّاطِئِ .



أَخِيرًا رَأَيْتُ قُرْصَانَيْنِ ، أَحَدُهُمَا مَقْتُولٌ وَقَدْ خَضَبَتْ دِمَاؤُهُ
 أَرْضَ السَّفِينَةِ . وَأَمَّا الْآخَرُ ، وَكَانَ دَاوُدَ هَانْدَزَ ، فَكَانَ جَرِيحًا
 يَتَنُّ أَلَمًا وَلَا يُطِيقُ حَرَكَاتًا . نَزَلْتُ إِلَى الْقَمَرَةِ الْمُحْطَمَةِ وَآتَيْتُ
 بِدَوَاءٍ مُنْعِشٍ قَدَّمْتُهُ لِهَانْدَزَ ، فَبَدَأَ الْقُرْصَانُ بَعْدَهَا أَفْضَلَ حَالًا .

كَانَ الْوُصُولُ إِلَى الشَّاطِئِ أَمْرًا مُضْنِيًّا . وَقَدْ شَغَلَنِي الْإِهْتِمَامُ
بِإِصْصَالِ السَّفِينَةِ سَالِمَةً عَنْ مُرَاقَبَةِ هَانْدَزٍ مُرَاقَبَةً دَقِيقَةً . فَجَاءَتْ
أَخْسَسْتُ أَلِي فِي خَطَرٍ . رَبُّمَا أَلِي سَمِعْتُ صَرِيرًا ، أَوْ لَمَحْتُ
بِطَرَفِ عَيْنِي شَيْحًا يَتَحَرَّكُ ، فَالْتَفَتُ مُسْرِعًا ، فَرَأَيْتُ هَانْدَزَ
يَقْتَرِبُ مِنِّي وَقَدْ رَفَعَ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى خَنْجَرًا . إِنْذَفَعْتُ مُبْتَعِدًا عَنْهُ
وَسَحَبْتُ مُسَدَّسًا مِنْ جَيْبِي . إِلْتَفَتُ وَسَدَدْتُ مُسَدَّسِي وَأَطْلَقْتُ
النَّارَ ، فَلَمْ أَرْ وَمِيزًا وَلَمْ أَسْمَعْ صَوْتًا . فَقَدْ بَلَّلَ مَاءُ الْبَحْرِ الْبَارُودَ .
وَاهْتَزَّتِ السَّفِينَةُ إِذْ صَدَمَتِ الشَّاطِئَ اهْتِزَازًا مُفَاجِئًا ، وَوَقَعْنَا
كِلَانَا أَرْضًا . وَقَبْلَ أَنْ يَقِفَ هَانْدَزٌ عَلَى قَدَمَيْهِ كُنْتُ قَدْ تَسَلَّقْتُ
السَّارِيَةَ . جَدَسْتُ فِي أَعْلَى السَّارِيَةِ مُطْمَئِنًّا وَلَوْ إِلَى حِينٍ ، وَأَعَدْتُ
حَشَوَ مُسَدَّسِي الْإِلْتِزِينَ بِبَارُودٍ جَافٍ . وَرَأَيْتُ هَانْدَزَ يَتَسَلَّقُ السَّارِيَةَ
يُطِئُ ، وَقَدْ وَضَعَ خَنْجَرَهُ بَيْنَ أَسْنَانِهِ .

صَحْتُ بِهِ : « إِذَا تَسَلَّقْتَ دَرَجَةً أُخْرَى يَا سَيِّدُ هَانْدَزُ فَسَافَجُرُ
دِمَاعَكَ ! » تَوَقَّفَ ، وَفِي أَقْلٍ مِنْ لَمَحِ الْبَصَرِ رَمَانِي بِخَنْجَرِهِ .
فَشَعَرْتُ بِأَلَمٍ حَادٍ وَوَجَدْتُ نَفْسِي مُسَمَّرًا إِلَى السَّارِيَةِ مِنْ نَاحِيَةِ
كَتْفِي الْيُمْنَى . وَقَدْ جَعَلَنِي الْأَلَمُ الْمُفَاجِئُ وَالصَّدْمَةُ الَّتِي اعْتَرَتْني
أَطْلُقُ النَّارَ مِنْ كِلَا الْمُسَدَّسَيْنِ . وَرَأَيْتُ هَانْدَزَ يَسْقُطُ سُقُوطًا
مُرِيعًا فِي مَاءِ الْبَحْرِ . شَعَرْتُ بِالْغَيَانِ وَالِدُّوَارِ ، فَأَغْمَضْتُ عَيْنِيَّ



هَنِيئَةً اسْتَعَدْتُ فِيهَا رَوْعِي . عِنْدَهَا نَزَعْتُ الْخَنْجَرَ الَّذِي سَمَّرَ
أَعْلَى سَاعِدِي بِالسَّارِيَةِ ، وَوَجَدْتُ أَنَّ الْجُرْحَ لَيْسَ بِالِغَا ، وَلَكِنِّي
كُنْتُ قَدْ نَزَفْتُ دَمًا كَثِيرًا . وَعَثَرْتُ فِي الْقَمَرَةِ عَلَى ضِمَادَاتٍ
ضَعَدْتُ بِهَا جُرْحِي .

عِنْدَمَا اسْتَعَدْتُ رَوْعِي كَانَ اللَّيْلُ قَدْ هَبَطَ ، فَتَوَجَّهْتُ إِلَى
الشَّاطِئِ مُخَوِّضًا فِي الْمَاءِ . وَلَمْ يَكُنْ لِي مِنْ رَغْبَةٍ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ
غَيْرَ الْعُودَةِ إِلَى أَصْدِقَائِي . وَكُنْتُ آملُ أَنْ يَجْعَلَهُمْ اسْتِيْلَانِي عَلَى
الْإِسْتِيْلَا يُسَامِحُونِي عَلَى تَرْكِي إِيَّاهُمْ . وَقَدْ سَاعَدَتِي ضَوْءُ الْقَمَرِ
عَلَى أَنْ أَجِدَ طَرِيقِي إِلَى الْمَنْزِلِ الْخَشِيِّ . مَشَيْتُ بِحَذَرٍ وَبِهُدُوءٍ
وَتَدَلَّيْتُ مِنْ فَوْقِ السَّيَاحِ . فَلَمْ أَسْمَعْ صَوْتًا . وَظَنَنْتُ أَنَّ رَجُلًا

الْمُرَاقِبَةُ لَمْ يَشْعُرْ بِي . فَزَحَفْتُ إِلَى الْمَنْزِلِ الْخَشِيِّ وَدَخَلْتُ .
فَجَاءَتْ : سَمِعْتُ صَوْتًا حَادًّا يَرِنُ فِي سَكِينَةِ الظَّلَامِ هُوَ صَوْتُ
بَيْغَاءٍ فَلَنْتُ تَصْرُخُ : « تَسْكُنُهُ الْأَرْوَاحُ ! تَسْكُنُهُ الْأَرْوَاحُ ! تَسْكُنُهُ
الْأَرْوَاحُ ! » فَأَذْرَكْتُ أَلِي وَقَعْتُ بَيْنَ أَيْدِي الْقَرَّاصِينَةِ . وَعَلَى
ضَوْءِ شُعْلَةٍ رَأَيْتُ سِلْفَرًا وَالرُّجَالَ الْخَمْسَةَ الَّذِينَ بَقُوا أَحْيَاءَ مِنْ
أَصْحَابِهِ .



لَمْ أَرِ أَيًّا مِنْ أَصْدِقَائِي . وَتَبَادَرَنِي ، لِلْوَهْلَةِ الْأُولَى ، أَنَّهُمْ قَتَلُوا جَمِيعًا . وَلَكِنْ سُرْعَانَ مَا عَلِمْتُ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ .

فَفِي أَثْنَاءِ غِيَابِي ، ذَهَبَ الدُّكْتُورُ لِقُصِي إِلَى الْقَرَاصِنَةِ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ ، بَعْدَ اخْتِفَاءِ الْإِسْبِينُولَا ، قَدْ تَخَلَّى هُوَ وَرِفَاقُهُ عَنْ فِكْرَةِ الْبَحْثِ عَنِ الْكَتْرِ . وَاتَّفَقَ مَعَهُمْ عَلَى أَنَّ يُسَلِّمَهُمُ الْمَتَرِلَ الْخَشِيَّ وَكُلَّ مَا فِيهِ ، وَحَتَّى خَرِيطَةَ الْكَتْرِ ، إِذَا تَرِكَ لَهُ وَلِرِفَاقِهِ حُرِّيَّةَ الْمُرُورِ إِلَى الْغَابَةِ . وَهَكَذَا كَانَ .

وَقَدْ أُرْعَجَنِي هَذَا الْأَمْرُ وَحَيَّرَنِي . لَمْ أَنَّهُمْ لَمْ تَخَلَّ رِفاقي عَنِ الْكَتْرِ دُونَ قِتَالِهِ .

كَانَ لَوْنُغْ جُون سِلْفَرُ لَا يَزَالُ زَعِيمَ الْقَرَاصِنَةِ . وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَرِحًا وَاثِقًا مِنْ نَفْسِهِ كَسَابِقِ عَهْدِهِ . كَانَ وَاضِحًا أَنَّ ثِقَةَ الْقَرَاصِنَةِ بِهِ ، بَعْدَ الْخَسَائِرِ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ ، قَدْ ضَعُفَتْ ، وَأَنَّ طَاعَتَهُمْ لَهُ أَصْبَحَتْ أَمْرًا مَشْكُوكًا فِيهِ . وَأَذْرَكَ سِلْفَرُ أَنَّهُمْ إِذَا قَرَّرُوا أَنْ يُؤَلُّوا عَلَيْهِمْ زَعِيمًا جَدِيدًا فَسَيَقْتُلُونَهُ ، وَأَنَّ أَمَلَهُ الْوَحِيدَ فِي الْخَلَاصِ هُوَ فِي الْإِنْتِصَامِ إِلَى جَمَاعَةِ الْقُبْطَانِ سَمُولِت .

وَقَدْ وَعَدَ أَنْ يَحْمِيَنِي مِنَ الْقَرَاصِنَةِ إِذَا شَفَعْتُ بِهِ عِنْدَ الْقُبْطَانِ . لَكِنْ لَوْ شَكَّ الْقَرَاصِنَةُ بِمَا يَتَوَي سِلْفَرُ فِعْلَهُ ، فَسَوْفَ يَقْضُونَ عَلَيْنَا نَحْنُ الْإِثْنَيْنِ . نَجَاتُنَا كَانَتْ تَعْتَمِدُ عَلَى بَقَاءِ الْأَمْرِ سِرًّا .



كَانَ صَبْرُ الْقَرَّاصِنَةِ ، فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، قَدْ نَفَدَ . وَبَدَوْا
يَتَحَرَّقُونَ لِلْإِنْطِلَاقِ بَحْثًا عَنِ الْكَثَرِ . لَكِنْ تَسَاوَلَا كَانَ يَدُورُ فِي
حَلْدِ سِلْقَرٍ ، لَمْ يَجِدْ جَوَابًا شَافِيًا عَلَيْهِ . فَقَدْ حِيرَهُ كَيْفَ تَخْلَى
الطَّيِّبُ وَرِفَاقُهُ عَنْ خَرِيطَةِ الْكَثَرِ بِمِثْلِ تِلْكَ السُّهُولَةِ . أَحَسَّ
أَنَّ فِي الْأَمْرِ حِيلَةً ، لَكِنَّهُ لَمْ يَتَجَرَّأْ عَلَى مُفَاتِحَةِ رِجَالِهِ بِشُكُوكِهِ .
وَيَسْمَا كُنَّا نَجْلِسُ حَوْلَ النَّارِ رَاحَ يُحَدِّثُ قَرَّاصِنَتَهُ عَنِ الرَّاءِ
الَّذِي يَنْتَظِرُهُمْ عِنْدَمَا يَضَعُونَ يَدَهُمْ عَلَى الْكَثَرِ . وَكَانَ يَتَحَدَّثُ
بِحَرَارَةٍ شَدِيدَةٍ حَتَّى خَيَّلَ إِلَيَّ أَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ يُصَدِّقُ مَا يَقُولُ .



فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي ، جَاءَ الدُّكْتُورُ لِقُصِي إِلَى الْمَتَرِلِ
الْخَشِيِّ لِيَعُودَ الْمَرَضَى وَالْجَرَحَى . فَوَجَّيْ حِينَ وَجَدَنِي مَعَ
الْقَرَّاصِنَةِ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا . وَقَامَ بِعَمَلِهِ فَأَعْطَى أَدْوِيَةً وَضَمَدَ
جِرَاحًا . ثُمَّ طَلَبَ أَنْ يُكَلِّمَنِي عَلَى انْفِرَادٍ . فَأَخْبَرْتُهُ ، بِإِبْجَازٍ شَدِيدٍ ،
بِمَا جَرَى مَعِي . وَحِينَ سَمِعَ أَنَّ الْإِسْپَنِيُولَا سَالِمَةٌ ارْتَسَمَتْ عَلَى
وَجْهِهِ عِلَامَاتُ الدَّهْشَةِ الشَّدِيدَةِ وَالْإِرْتِيَاحِ . كَذَلِكَ أَخْبَرْتُهُ
عَنْ زَعَامَةِ سِلْقَرِ الْمُهَدَّدَةِ وَرَغْبَتِهِ فِي الْإِنْضِمَامِ إِلَيْنَا . فَوَافَقَ أَنْ
يَأْخُذَهُ مَعَنَا إِلَى الْوَطَنِ إِذَا حَمَانِي مِنَ الْقَرَّاصِنَةِ . كُنَّا فِي وَضْعٍ
خَرَجَ لِلْعَاقِبَةِ ، وَبَدَأَ أَنْ الْأَمَلَ فِي الْخَلَاصِ ضَعِيفٌ جِدًّا . صَافَحَنِي
الطَّيِّبُ وَقَالَ إِنَّهُ سَيَتَدَبَّرُ أَمْرَ إِنْقَازِي .





مِنْ تِلَالِ الْجَزِيرَةِ ، وَأَنَّ شَجَرَةً عَالِيَةً مِنْ أَشْجَارِ تِلْكَ التَّلَّةِ تَحْمِلُ
إِشَارَاتٍ تَدُلُّ عَلَى مَكَانِ الْكَثَرِ . وَكَانَ أَشَدَّ الرُّمُوزِ إِنْهَامًا الْإِشَارَةُ
إِلَى «جَزِيرَةِ الْهَيْكَلِ الْعَظِيمِ» وَدَوْرَهَا فِي تَعْيِينِ الْإِتِّجَاهَاتِ .
إِذْ لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَ فِي الْجَزِيرَةِ مَكَانًا يَحْمِلُ هَذَا الْإِسْمَ أَوْ
مَا هُوَ قَرِيبٌ مِنْهُ .

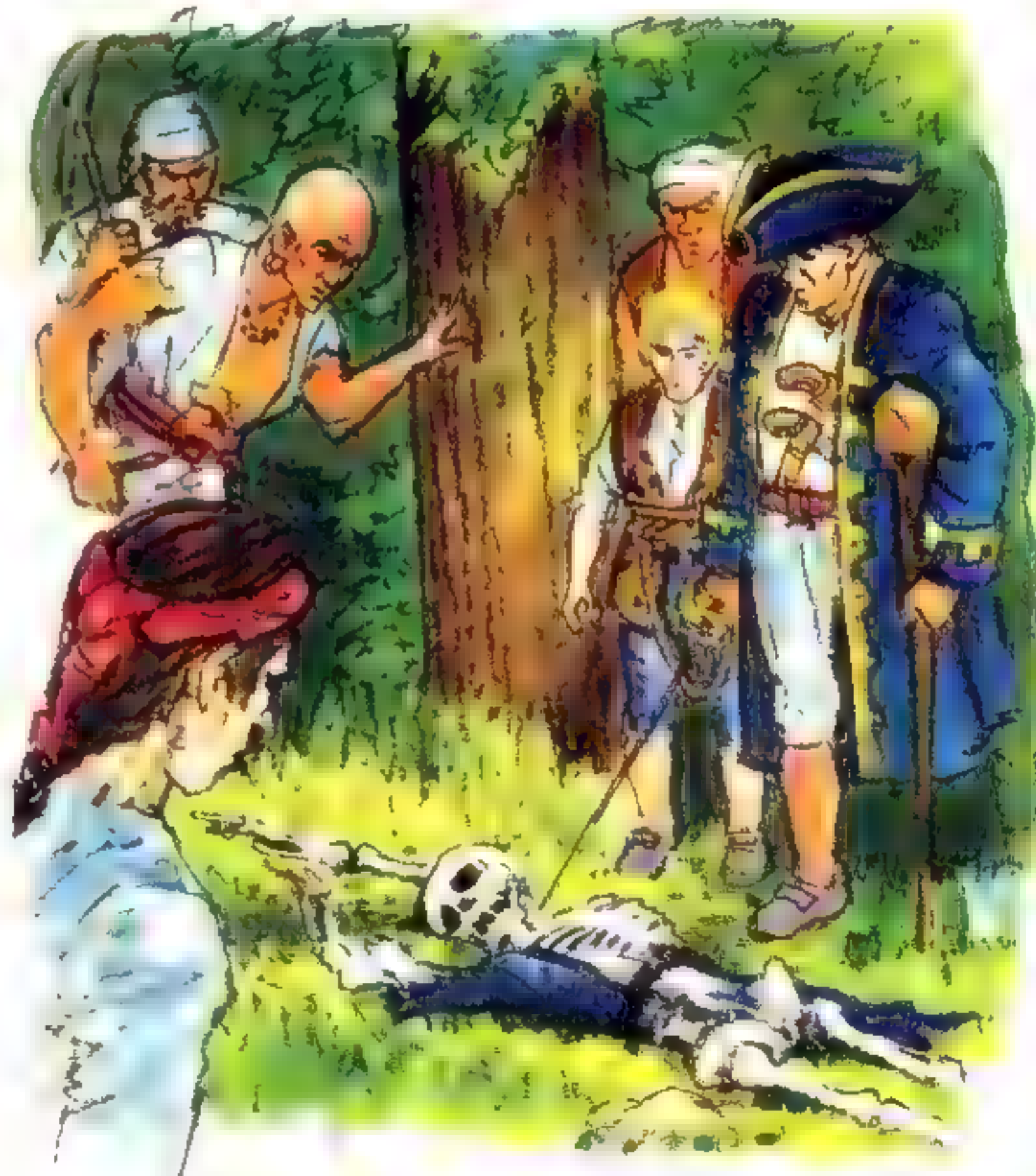
كَانَ الرُّجَالُ مُعْتَلِينَ حَمَاسَةً ، فَلَمْ نَسْتَطِعْ أَنَا وَسِلْفَرُ أَنْ
نُجَارِيَهُمْ فِي سُرْعَةِ تَحَرُّكِهِمْ . ثُمَّ إِنَّهُ كَانَ عَلَيَّ بَيْنَ حِينٍ وَآخَرَ
أَنْ أَسَاعِدَ سِلْفَرَ عِنْدَمَا كَانَ عُكَاظُهُ يَعْلَقُ بَيْنَ الصُّخُورِ .



حَمَلْنَا الْمَعَاوِلَ وَالْمَجَارِفَ وَانْطَلَقْنَا بَحْثًا عَنْ كَثَرِ الْقُبُطَانِ
فَلِئْتُ . انْطَلَقَ الرُّجَالُ وَهُمْ مُدَجِّجُونَ بِالسَّلَاحِ . كَانَ سِلْفَرُ
يَحْمِلُ مُسَدَّسَيْنِ وَسَيْفًا . أَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أُسِيرُهُمْ ، لِذَا رَبَطُوا حَبْلًا
حَوْلَ خَصْرِي ، وَأَمْسَكَ سِلْفَرُ بِطَرَفِ الْحَبْلِ السَّائِبِ وَأَبْقَانِي
مَعَهُ . وَرَغْمَ أَنَّهُ وَعَدَ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى سَلَامَتِي فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ أَتَقُ بِهِ .
وَرَأَى الْقَرَاصِنَةُ فِي طَرِيقِهِمْ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ خَرِيطَةِ الْكَثَرِ وَتَفْسِيرِ
رُمُوزِهَا .

وَقَدْ فَهِمَ الْقَرَاصِنَةُ مِنْ تِلْكَ الرُّمُوزِ أَنَّ الْكَثَرَ مَدْفُونٌ فِي تِلَّةٍ

كُنَّا قَدْ قَطَعْنَا مَسَافَةً نِصْفَ مِيلٍ حِينَ سَمِعْنَا صَيْحَةَ رَجُلٍ
كَانَ يَتَقَدَّمُ الْجَمَاعَةَ . فَاسْرَعَ سَائِرُ الرِّجَالِ إِلَيْهِ ظَنًّا أَنَّهُ قَدْ وَجَدَ
الْكَثْرَ . لَكِنْ مَا وَجَدَ لَمْ يَكُنْ كَثْرًا بَلْ هَيْكَلًا عَظِيمًا مُمَدَّدًا عِنْدَ
جَذْعِ شَجَرَةٍ . وَقَفَ الرِّجَالُ يَنْظُرُونَ فِي صَمْتٍ وَرُغْبٍ . وَقَدْ
دَلَّتِ الْخِرْقُ الْمُعَلَّقَةُ بِالْعِظَامِ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ بَحَارًا . وَكَانَ



الْهَيْكَلُ الْعَظِيمُ مُمَدَّدًا عَلَى الْأَرْضِ بِشَكْلِ مُسْتَقِيمٍ بِحَيْثُ اتَّخَذَتِ
السَّاقَانِ اتِّجَاهًا وَاتَّخَذَتِ الْيَدَانِ الْمَبْسُوطَتَانِ فَوْقَ الرَّأْسِ اتِّجَاهًا
مُعَاكِسًا . تَأَمَّلَ سِلْقَرُ الْهَيْكَلِ الْعَظِيمِ ثُمَّ صَاحَ : « هَذِهِ دَعَابَةٌ
مِنْ دَعَابَاتِ الْقُبْطَانِ فَلَيْتَ ! فَالْبَحَارُ وَاحِدٌ مِمَّنْ قَتَلَهُمْ . وَقَدْ مَدَدَ
ضَحِيَّتَهُ عَلَى الْأَرْضِ بِحَيْثُ يَدُلُّ اتِّجَاهُ الْعِظَامِ عَلَى طَرِيقِ الْكَثْرِ ! »
ارْتَعَشَتْ قُلُوبُ الرِّجَالِ حِينَ سَمِعُوا اسْمَ فَلَيْتَ . فَإِنَّهُمْ عَاشُوا
حَيَاتَهُمْ فِي خَوْفٍ دَائِمٍ مِنْهُ . قَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ : « فَلَيْتَ مَاتَ ،
وَشَبِعَ مَوْتًا . لَكِنْ إِنْ كَانَ لِلْأَشْبَاحِ وَجُودٌ فَلَا شَكَّ أَنَّ شَبَعَ
فَلَيْتَ يَتَحَرَّكُ بَيْنَنَا الْآنَ ! »

وَقَالَ آخَرُ : « لَا أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ الْآنَ أُغْنِيَةَ صُنْدُوقِ
الْقُرْصَانِ ، لِأَنَّهَا كَانَتْ الْأُغْنِيَةَ الْوَحِيدَةَ الَّتِي تَعُودُ أَنْ يُرَدِّدَهَا . »

وَضَعَ سِلْقَرُ حَدًّا لِهَذَا الْحَدِيثِ ، وَتَابَعْنَا السَّيْرَ . غَيْرَ أَنِّي
لَا حَظَّتُ أَنَّ الرِّجَالَ مَالُوا ، بَعْدَ ذَلِكَ ، إِلَى التَّحَدُّثِ بِصَوْتٍ
خَفِيفٍ وَإِلَى الْبَقَاءِ مُتَقَارِبِينَ . كَانَ ذِكْرُ فَلَيْتَ كَافِيًا لِلْإِقْدَاءِ
الرُّغْبِ فِي نُفُوسِهِمْ . جَلَسْنَا فِي أَعْلَى الثَّلَّةِ نَسْتَرِيحُ . فَوَجَدْتُ
أَنَّ الرِّجَالَ كَانُوا لَا يَزَالُونَ يَتَحَدَّثُونَ عَنِّي فَلَيْتَ .

فَقَالَ لَهُمْ سِلْقَرُ : « مِنْ حُسْنِ حَظِّكُمْ أَنَّهُ مَيِّتٌ ! »

فَجَاءَ ، ارْتَفَعَ مِنْ بَيْنِ الْأَشْجَارِ الْقَرِيبَةِ صَوْتُ رَاعِشٍ عَمِيقٍ
مَرَدَّدًا الْأَغْنِيَةَ الْمَشْهُورَةَ :

لَا تَفْتَحْ صُنْدُوقَ الْقُرْصَانِ أَمْسَتْ تَسْكُنُهُ الْأَرْوَاحُ
يَمْلَأُهُ اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ لَكِنْ تَسْكُنُهُ الْأَرْوَاحُ

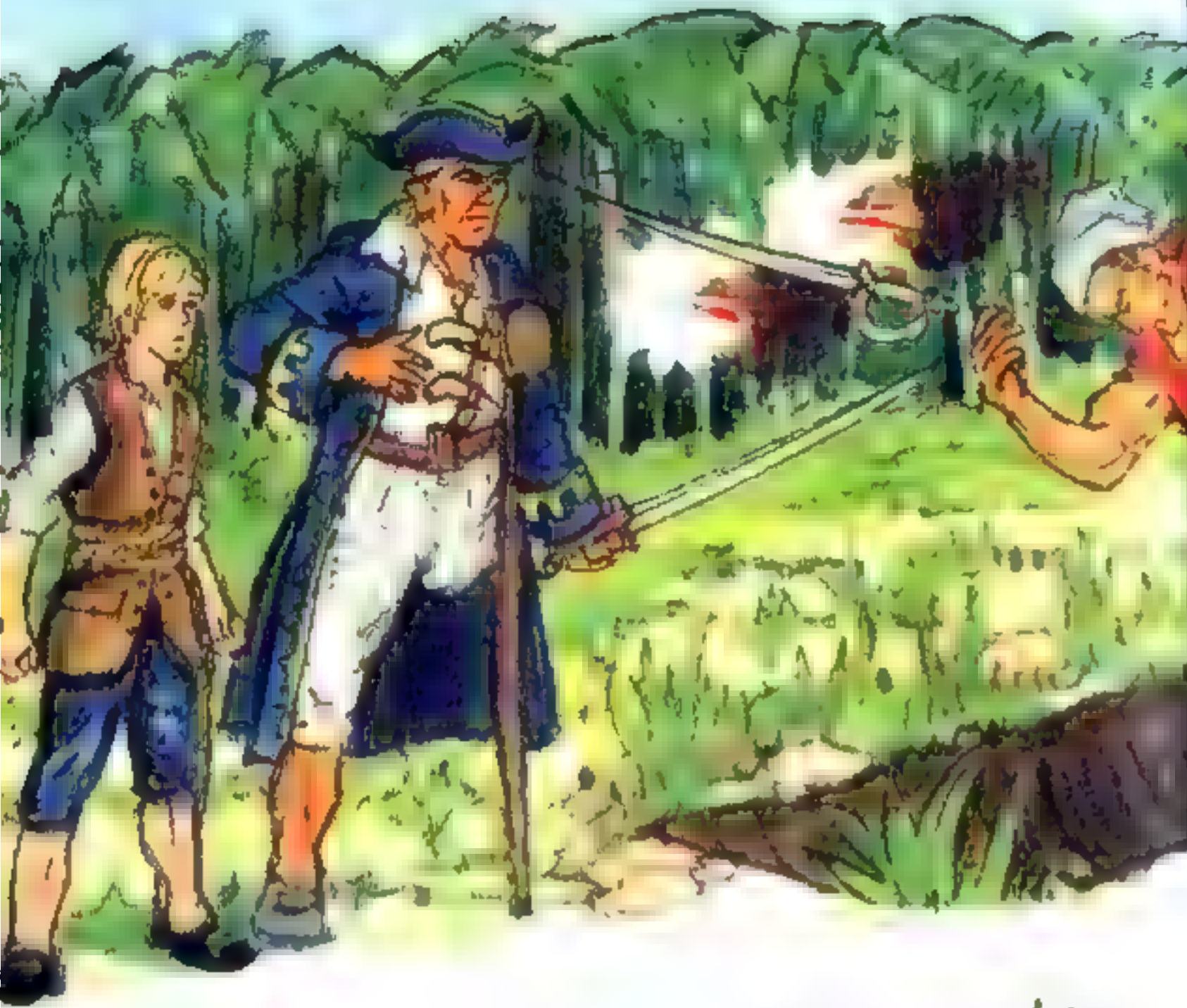
تَجَمَّدَ الْقَرَاصِنُ كُلُّهُمْ فِي أَمَاكِنِهِمْ . وراحوا يُحَدِّقُونَ فِي
أَشْجَارِ الْعَابَةِ فِي رُغْبٍ وَذُهُولٍ . سَلَفَرُ نَفْسِهِ كَانَ يَرْتَعِشُ ، لَكِنَّهُ
كَانَ أَوَّلَ مَنْ اسْتَعَادَ رَوْعَهُ فَرَمَجَرَ قَائِلًا :

«جِئْتُ إِلَى هُنَا لِأَسْتَوِلِيَ عَلَى الْكَثَرِ ! لَمْ أَخَفْ يَوْمًا مِنْ فِلَيْتِ

فِي حَيَاتِهِ ، وَلَنْ أَتَرَدَّدَ فِي تَحَدِّي شَبَحِهِ وَهُوَ مَيِّتٌ !»

كَانَ لِمَوْقِفِ لَوْنِجُ جُونِ سِلْفَرُ فِعْلُ السَّحْرِ فِي قُلُوبِ الرِّجَالِ ،
فَتَنَاولُوا أَدَوَاتِهِمْ وَعَادُوا إِلَى سَيْرِهِمِ الْعَادِّ . سُرْعَانِ مَا وَصَلْنَا إِلَى
شَجَرَةٍ ضَخْمَةٍ تَعْلُو سَائِرَ الْأَشْجَارِ . وَكَانَ الْأَمَلُ الَّذِي رَاوَدَهُمْ
بِالْعُثُورِ عَلَى الْكَثَرِ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ كَافِيًا لِيُنْسِيَهُمْ مَخَافَتَهُمْ كُلَّهَا ،
فَانْدَفَعُوا إِلَى الشَّجَرَةِ رَاكِضِينَ . وَرَاحَ سِلْفَرُ يَخْبِطُ الْأَرْضَ بِعُكَّازِهِ
مُحَاوِلًا اللَّحَاقَ بِرِجَالِهِ . رَأَيْتُ فِي عَيْنَيْهِ نَظَرَاتِ آئِمَّةٍ وَخَشْيَةٍ لَمْ
تَدَعِ مَجَالًا لِلشَّكِّ فِي أَنَّهُ لَوْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى الْكَثَرِ لَقَتَلْنَا جَمِيعًا .





مرّة أخرى . وبعد لحظات تدافع القراصنة خارجين من الحفرة ووقفوا يواجهون سيلقر . ثم رفع زعيمهم يده مؤذنا بالهجوم . ولكن قبل أن يضرب أيّ منهم ضربة واحدة انطلقت من بين الأشجار القريبة رصاصات ثلاث ، وسقط اثنان من القراصنة ميتين . أما الثلاثة الآخرون فقد ولّوا الأدبار . وترز من بين الأشجار الطيب وبين جن اللذين كان لهما الفضل في إنقاذ حياتنا في آخر لحظة .



لم يركض القراصنة طويلاً . فإنهم سرعان ما وصلوا إلى حفرة رأوا في قعرها قطعاً خشبيّة صغيرة ومقبض مِعُولٍ مكسوراً . وكان واضحاً لكلّ ذي نظر أن الكثر قد اختفى ! قفز القراصنة إلى قلب الحفرة وراحوا ينبشون الأرض بأظافرهم . وأحس سيلقر بالخطر المُخْدِقِ بِهِ ، وأدرك أنهم سيرتدّون عليه ويقتلونه .

همسَ بانفعالٍ قائلاً : « اسمع يا جم ، إنّا موقّنا خرج . » نظرتُ إليه فرأيتُ نظرة الكراهية قد زابت عينيّه ، لأنّه أدرك ، وهو يواجه خطر الموت ، أنّه بحاجةٍ إليّ . فتحوّل عن رفاقه

قَادَنَا بِنْ جَنْ إِلَى كَهْفِهِ حَيْثُ كَانَ رِفَاقُنَا يَسْتَظِرُّونَ فِي قَلْبِ وَلَهْفَةٍ . مَا كَانَ أَسْعَدَنِي بِإِلْقَاءِ أَصْدِقَائِي ! وَقَدْ عَرَفْنَا أَنَا وَسِلْفَرُ جَوَابَ السُّؤَالِ الَّذِي حَيَّرَنَا كَلِينًا . فَقَدْ كَانَ بِنْ جَنْ أَعْلَمَ الدُّكْتُورَ لِنَفْسِي أَنَّهُ اسْتَطَاعَ خِلَالَ إِقَامَتِهِ الطُّوبِيلَةِ فَوْقَ الْجَزِيرَةِ أَنْ يَعْتَزَّ عَلَى الْكَتْرِ ، وَأَنَّهُ نَقَلَهُ إِلَى كَهْفِهِ . فَلَمْ يَعْذْ لِخَرِيطَةِ الْكَتْرِ مِنْ فَائِدَةٍ . وَسُرَّ أَصْدِقَائِي أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ الْمَنْزِلِ الْخَشِيِّ وَيَلْجَأُوا إِلَى كَهْفِ بِنْ جَنْ الْآمِنِ الْحَصِينِ . وَكَانَ بِنْ جَنْ قَدْ رَاقَبَ الْقَرَّاصِينَ وَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْمَنْزِلِ ذَلِكَ الصَّبَاحَ بَحْثًا عَنِ الْكَتْرِ . وَكَانَ هُوَ الَّذِي رَدَّدَ بِصَوْتٍ رَاعِشٍ أَغْنِيَةَ الْقُرْصَانِ بَاعِثًا الرُّعْدَةَ فِي قُلُوبِ

الرَّجَالِ



أَقَمْنَا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَلَيْمَةً رَائِعَةً ، أَنْسَنَّا جَمِيعًا هُمُومَنَا . وَقَدْ شَارَكْنَا الْقُبْطَانَ فِي الْوَلِيمَةِ رُغْمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ شَفِيَ شِفَاءً تَامًا مِنْ جِرَاحِهِ . كَذَلِكَ شَارَكْنَا لَوْنِجَ جُونِ سِلْفَرُ بِإِثْسَامَتِهِ الْهَادِئَةِ وَتَصَرُّفَاتِهِ الْمُهَذَّبَةِ وَشَخْصِيَّتِهِ الْمُحِبَّةِ ، الَّتِي كَانَتْ مِنْ صِفَاتِهِ أَوَّلَ تَعَرُّفِي بِهِ .

شَرَعْنَا ، فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي ، نَنْقُلُ الْكَتَرَ إِلَى الْإِسْپَانِيُولَا وَنُعِدُّ أَنْفُسَنَا لِلْإِيْحَارِ . اسْتَغْرَقَ مِنَّا ذَلِكَ بِضْعَةُ أَيَّامٍ . وَكُنَّا نَعْرِفُ أَنَّهُ لَا يَزَالُ فَوْقَ الْجَزِيرَةِ ثَلَاثَةُ قَرَّاصِينَ ، فَتَرَكْنَا وَرَاءَنَا مِنَ الطَّعَامِ وَالْأَدَوَاتِ مَا يُسَاعِدُ هَؤُلَاءِ عَلَى الْبَقَاءِ أَحْيَاءَ رَيْثَمَا تَعُرُّ بِالْجَزِيرَةِ سَفِينَةٌ وَتَحْمِلُهُمْ مَعَهَا .



إِنْتَابَنِي شُعُورٌ غَامِرٌ بِالْفَرَحِ حِينَ أَدْرْتُ ظَهْرِي إِلَى جَزِيرَةِ
الْكُتْرِ. أَبْحَرْتُ بِنَا السَّفِينَةِ دُونَ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهَا مَا يَكْفِي مِنَ
الْبَحَارَةِ. لَئِذَا تَوَقَّفْنَا فِي أَوَّلِ مِينَاءٍ صَادَفْنَا فِي الْمُحِيطِ لِلتَّرَوُّدِ
بِالرِّجَالِ. فَالْقَيْنَا الْمِرْسَاةَ وَنَزَلْنَا إِلَى الشَّاطِئِ سَعْدَاءَ بِأَنْ نَجِدَ
أَنْفُسَنَا ثَانِيَةً فِي مَكَانٍ بِهِجٍ مُزْدَحِمٍ. وَعَدْنَا أَنَا وَالطَّيِّبُ وَالْعُمْدَةُ
إِلَى السَّفِينَةِ قُبَيْلَ الْفَجْرِ، فَقَابَلَنَا بِنْ جَنْ وَأَعْلَمْنَا أَنَّ سِلْفَرَ رَحَلَ،
بَعْدَ أَنْ أَخَذَ مَعَهُ جَانِبًا ضَخِيمًا مِنَ الْكُتْرِ. وَقَدْ سَرَّنا جَمِيعًا أَنْ نَتَخَلَّصَ
مِنْهُ. وَلَمْ نَعُدْ نَرْغَبُ الْآنَ إِلَّا فِي الْوُصُولِ إِلَى الْوَطَنِ.

كَانَتْ رِحْلَةُ الْعُودَةِ إِلَى الْوَطَنِ مُنْتَعَةً. وَبَعْدَ وُصُولِنَا تَقَاسَمْنَا
الْكُتْرَ، وَسَارَ كُلُّ مَنَا فِي طَرِيقِهِ. وَكَانَ نَصِيبُ بِنْ جَنْ مَبْلَغًا
طَائِلًا مِنَ الْمَالِ، لَكِنَّهُ أَتَفَقَّهُ أَوْ ضَيَّعَهُ فِي وَقْتٍ قَصِيرٍ. فَأَمَّنَ
الْعُمْدَةُ لَهُ وَظِيفَةً مُتَوَاضِعَةً فِي الْبَلَدَةِ يَعِيشُ مِنْهَا.

أَمَّا لُونُغُ جُونِ سِلْفَرٍ فَقَدْ خَرَجَ مِنْ حَيَاتِي خُرُوجًا نِهَائِيًا،
لَكِنِّي لَا أَزَالُ بَيْنَ حَيْنٍ وَحَيْنٍ أَرَاهُ فِي أَحْلَامِي وَأَسْمَعُ صَوْتَ
يَبْغَائِهِ الْحَادِّ يَصْرُخُ: «تَسْكُنُهُ الْأَرْوَاحُ! تَسْكُنُهُ الْأَرْوَاحُ!
تَسْكُنُهُ الْأَرْوَاحُ!»



تسعى مكتبة لبنان من خلال هذه السلسلة إلى تعريف القارئ العربي بروائع الأدب العالمي، وإعدادِهِ لِلتَّحْوِيلِ، فيما بعد، في عالم القصص الخالدة من بابهِ الواسع. إِنَّا نَعْتَقِدُ أَنَّ مِنْ حَقِّ أبنائنا أَنْ يَكُونُوا فِكْرَةً صَحِيحَةً شَامِلَةً عَنْ إِنتاجِ الْقِصَصِ الذَّائِعَةِ الصِّبَةِ فِي مُخْتَلِفِ أَصْقالِ الأَرْضِ.

عَلَى أَنَّا نَتَّقُ أَنَّ هَذِهِ الْقِصَصَ نَصْلُحُ، بِالشَّكْلِ الَّذِي تُقَدِّمُهَا فِيهِ، لِلْكِتَابِ أَيْضًا. لِأَنَّا حَرَصْنَا عَلَى أَلَّا نَتَّقِصَ مِنْ جَوْهَرِ الْفِكْرَةِ الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا الْعَمَلُ وَمِنْ بِنَاءِ الشَّخْصِيَّاتِ كَمَا أَرَادَهَا الْمُؤَلِّفُونَ.

وَحَرَصْنَا عَلَى الْمُحَافَظَةِ عَلَى عَنَاقِينِ الْكُتُبِ الْأَصْلِيَّةِ وَكَذَلِكَ عَلَى أَسْمَاءِ الْعِلْمِ وَالْأَمَاكِينِ، كَمَا وَرَدَتْ فِي الْأَصْلِ، رَغْبَةً فِي إِعْطَاءِ صُورَةٍ حَقِيقِيَّةٍ عَنِ الْجَوِّ الْعَامِّ لِلْقِصَصِ، مِنْ حَيْثُ الْمَكَانُ وَالْأَوَاقِيعُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ وَالْأَحْداثُ التَّارِيخِيَّةُ، وَخِدْمَةً لِلْهَدَفِ الَّذِي نَسْعَى إِلَيْهِ وَهُوَ تَهْيِئَةُ الطَّرِيقِ لِلتَّعَرُّفِ إِلَى الْأَدَبِ الْعَالَمِيِّ عَلَى

أَنَّا نَجْتَنِبُ الْخَوْصَ فِي تَفَاصِيلِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي لَا تَتَعَلَّقُ مُبَاشَرَةً بِصُلْبِ الْمَوْضُوعِ وَلَا تُؤَثِّرُ عَلَى سَيْرِ الْأَحْداثِ، وَذَلِكَ لِكَفِّ لَا تُزِيلُ الْقَارِئُ الْعَرَبِيَّ بِأَسْمَاءِ تَأْوِيلِ الْأَعْيَانِ، غَرِيبَةِ اللَّفْظِ قَلِيلَةِ التَّوَاتُرِ.

وَنَمَازُ هَذِهِ الْقِصَصِ كُلُّهَا بِأَنَّهَا شَدِيدَةُ التَّنْشِيقِ، وَتَقُومُ فِي غَالِبِهَا عَلَى الْمُغَامَرَاتِ الْمُتَبَعَةِ. وَأَكْثَرُ هَذِهِ الْقِصَصِ الْمُخْتَارَةِ كُنَتْ أَصْلًا لِتُرْضَى جُنُودَ الشَّبابِ، وَفِي مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ تُرْضَى مُشَاعِرُهُمْ وَمَبَادِيئُهُمْ وَحُبُّهُمْ لِلانْطِلَاقِ وَاتِّشَافِ الْمَجْهُولِ.

إِنَّ هَذِهِ الْقِصَصَ جَمِيعُهَا، وَإِنْ تَكُنْ فِي غَالِبِهَا تَقُومُ عَلَى حُبِّ الْمُغَامَرَةِ، تَتَنَاوَلُ أَصْدَقَ الْمَشَاعِرِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَتُصَوِّرُ كِفَاحَ الْإِنْسَانِ لِتَحْقِيقِ مُثُلِهِ الْعُلْيَا دُونَ أَنْ يَبْغَى بِالتَّضَحِّيَّاتِ.

وَرُوِّدَتْ كُتُبُ السَّلِيلَةِ جَمِيعُهَا بِمُقَدِّمَاتٍ تُعَرِّفُ بِالْمُؤَلِّفِ كَمَا رُوِّدَتْ بِرُسُومٍ مَلَوْنَةٍ وَارْتِعَةٍ تُضْفِي جَوْاً مِنَ السَّحْرِ عَلَى أَحْداثِ الْقِصَصِ، وَتُصَوِّرُ الْخَلْفِيَّاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ أَصْدَقَ تَصْوِيرٍ.

فِي سِلْسِلَةِ كُتُبِ الْمُطَالَعَةِ الْآنَ أَكْثَرُ مِنْ ٢٥٠ كِتَابًا تَتَنَاوَلُ الْوَانِثَا
مِنْ الْمَوْضُوعَاتِ تَنَاسِبٍ مُخْتَلَفٍ الْأَعْمَارِ . أَطْلُبِ الْبَيَانَ الْخَاصَّ بِهَا مِنْ :
مَكْتَبَةِ لُبْنَان - سَاعَةِ رِيَاضِ الصَّلَح - بَيْرُوت

